سعيد بن عثمان بن عفان الأموي

فاتح بخارى [1] وسمرقند [2] وترمذ [3]

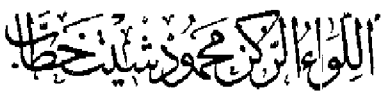

نسبه وأهله :

هو سعيد بن عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي [4] .

أبوه أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وأمه فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس ابن المغيرة المخزومية [5] .

---

(١) بخارى : من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها ، يسير اليها من (آمل) الشط ، وبينها وبين جيحون يومان ، وكانت قاعدة ملك السامانية . أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٨١) والمسالك والممالك (١٦٦ – ١٦٧) وآثار البلاد وأخبار العباد (٥٠٩ – ٥١١) .

(٢) سمرقند : بلد معروف مشهور بما وراء النهر ، وهو قصبة (الصغد) مبنية على جنوبي وادي الصغد مرتفعة عليه . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥ / ١٢١) والمسالك والممالك (١٧٧) وآثار البلاد وأخبار العباد (٣٣٥) .

(٣) ترمذ : مدينة مشهورة من أمهات المدن راكبة على نهر جيحون من جانبه الشرقي . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٣٨٢) والمسالك والممالك (١٦٧) وتقويم البلدان (٥٠٠) .

(٤) طبقات ابن سعد (٣/٥٣) و (٥/١٥٣) وتهذيب ابن عساكر (٦/١٥٤) والاصابة (٤/٢٢٣) وأسد الغابة (٣/٣٧٦) والاستيعاب (٣/١٠٣٧) وانظر جمهرة أنساب العرب (٨٣) .

(٥) طبقات ابن سعد (٣/٥٤) و (٥/١٥٣) .

وكان له تسعة أخوة : عبد الله الأكبر ، وعبد الله الأصغر ، وعمرو ، وأبان ، وخالد ، وعمر ، والوليد ، والمغيرة ، وعبدالملك ؛ وكان له أربع أخوات : أم سعيد ، وأم أبان ، وأم عمرو ، وعائشة [1] .

لقد كان سعيد أبرز أولاد عثمان بن عفان [2] .

مبرهاده :

١ — قدم سعيد دمشق وافداً على معاوية بن أبي سفيان [3] ، فسأله أن يستعمله على (خراسان) ، فقال معاوية : « إن بها عبيد الله بن زياد » ؛ فقال سعيد : « لقد اصطنعك أبي ورقاك حتى بلغت باصطناعه الذي لا يُجارى اليه ولا يُسامى ، فما شكرت بلاءه ولا جازيته بآلائه ، وقدمت عليّ هذا ـ يعني يزيد بن معاوية ـ وبايعت له . والله لأنا خير منه أباً وأماً ونفساً » . فقال معاوية : « أما بلاء أبيك ، فقد يحق عليّ الجزاء به ، وقد كان من شكري لذلك أني طلبت بدمه حتى تكشفت الأمور ، ولست بلائم لنفسي في التشمير . وأما عن فضل أبيك على أبيه ، فأبوك والله خير مني وأقرب برسول الله ﷺ . وأما فضل أمك على أمه ، فما ينكر امرأة من قريش خير من أمرأة من كلب [4] . وأما فضلك عليه فوالله ما أحب أن (الغوطة) [5] ملئت رجالاً مثلك » ؛ فقال يزيد بن معاوية لأبيه : « يا أمير المؤمنين ! ابن عمك ، وأنت أحق من نظر في أمره ، وقد عتب عليك ، فاعتبه ! » ، فولاه

---

(١) المعارف ص (١٩٨) .

(٢) انظر ما جاء عن أولاد عثمان بن عفان في المعارف (١٩٨ ـ ٢٠٢) .

(٣) تهذيب بن عساكر (٦/١٥٤ ـ ١٥٥) .

(٤) كانت أم يزيد بن معاوية من بني كلب ، وهي ميسون بنت بحدل الكلبية . انظر المعارف (٣٥٠) .

(٥) الغوطة : هي الكورة التي منها دمشق ، استدارتها ثمانية عشر ميلا ، يحيط بها جبال عالية من جميع جهاتها ولا سيما في شمالها . وتمد في الغوطة في عدة أنهر فتسقى بساتينها وزروعها . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/٣١٤ ـ ٣١٥) .

خراسان [1] ، وكان ذلك سنة ست وخمسين الهجرية [2] (٦٧٥ م) .

٢ — وقدم سعيد (خراسان) ، فقطع النهر الى (سمرقند) ، فكان أول من قطع نهر (بَلْخ) [3] من العرب [4] .

وبلغ (خاتون) ملكة (بخارى) [5] عبوره النهر ، فحملت اليه الصلح الذي صالحت عليه عبيد الله بن زياد . وأقبل أهل (الصُّغد) [6] و (كِش) [7] و (نَسَف) [8] الى سعيد فى مائة الف وعشرين ألفاً ، فالتقوا بـ (بخارى) ، وقد ندمت (خاتون) على أدائها الأتاوة ونكثت العهد ؛ ولكن بعض الجموع المحتشدة لقتال سعيد انصرفوا ، فتضعضعت معنويات الآخرين ؛ فلما رأت (خاتون) ذلك ، أعادت الصلح ، فدخل سعيد مدينة (بخارى) [9] .

---

(١) الطبرى (٢٢٦/٤ ـ ٢٢٧) وابن الأثير (٢٠٢/٣) وانظر تهذيب ابن عساكر (١٥٦/٦ ـ ١٥٧) والامامة والسياسة (١٩١/١) .

(٢) شذرات الذهب (٦١/١) وتاريخ أبي الفدا (١٨٧/١) والعبر (٦١/١)

(٣) بلخ : مدينة مشهورة بخراسان ، وهي من أجل مدن خراسان وأكثرها خيراً . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٦٣/٢) .

(٤) المعارف (٥٥٥) وانظر فتوح البلدان (٤٠١) .

(٥) كان ملك بخارى قد أفضى يومئذ الى امرأة يسمونها : خاتون . انظر معجم البلدان (٨٤/٢).

(٦) الصغد : كورة عجيبة قصبتها سمرقند ، وقيل : هما صغدان ، صغد سمرقند وصغد بخارى . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٦٢/٥) والمسالك والممالك للاصطخري (١٧٩) وآثار البلاد وأخبار العباد (٥٤٣) وأحسن التقاسيم (٣٦٦) وتكتب عند بعضهم : السغد . ويطلق على سكان المنطقة (الصغد) أيضاً .

(٧) كش ، مدينة تقارب سمرقند . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٥٠/٧) و (٢٥٤/٧) والمشترك وضعاً (٣٧٣) وتقويم البلدان (٤٩٠) .

(٨) نسف : مدينة كبيرة كثيرة الأهل والرستاق بين جيحون وسمرقند . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٨٦/٨) .

(٩) البلاذري : (٤٠١) وانظر معجم البلدان (٨٥/٢) وجل فتوح الاسلام ـ ملحق بجوامع السيرة لابن حزم (٣٣٩) واليعقوبي (٢١١/٢) .

٣ — وغزا سعيد (سمرقند) ، فأعانته خاتون بأهل (بخارى) ، فنزل على باب (سمرقند) وحلف أنّ لا يبرح أو يفتحها ؛ فقاتل أهلها ثلاثة أيام ، وكان أشد قتالهم في اليوم الثالث حيث فقئت عينه . ولزم العدو (سمرقند) وقد فشت فيهم الجراح ، فأتاه رجل دلّه على قصر فيه أبناء ملوكهم وعظمائهم ، فسار إليهم وحصرهم .

وخاف أهل (سمرقند) أن يفتح سعيد ذلك القصر عنوة ويقتل من فيه ، فطلبوا الصلح ، فصالحهم على سبعمائة ألف درهم ، وعلى أن يعطوه رهناً من أبناء عظمائهم ، وعلى أن يدخل المدينة ومن شاء ويخرج من الباب الآخر ، فأعطوه خمسة وعشرين من أبناء ملوكهم ، ويقال : إنهم أعطوه أربعين من أبناء ملوكهم ، ويقال : ثمانين [١] ، وكان معه من الأمراء : المهلب بن أبي صُفرة الأزدى ، واستشهد معه يومئذ قُثَم بن العباس بن عبد المطلب وكان يشبه بالنبي ﷺ وهو آخر من طلع من لحد النبي ﷺ [٢] .

(٤) وانصرف سعيد الى (ترمذ) ففتحها صلحاً [٣] .

الإنسان :

لا نعرف شيئاً عن أيام سعيد الأولى قبل توليه (خراسان) ، وقد عزله معاوية سنة سبع وخمسين [٤] ، وكان معاوية قد خاف سعيداً على خلعه ولذلك عاجله بالعزل [٥] ، فأخذ

---

(١) البلاذري (٤٠١ — ٤٠٢) . وانظر تهذيب ابن عساكر (٦/١٥٥) وشذرات الذهب (١/٦١) وجمل فتوح الاسلام (٣٤٩) واليعقوبي (٢/٢١١) . وفي الطبري (٤/٢٢٠) وابن الأثير (٣/٢٠٢) : إن أهل سمرقند أعطوه رهنا منهم خمسين غلاماً من أبناء عظمائهم .

(٢) شذرات الذهب (١/٦١) والعبر (١/٦١) .

(٣) البلاذري (٤٠٢) وابن الأثير (٣/٢٠٢) والطبري (٤/٢٢٠) وجمل فتوح الاسلام (٣٤٩) وتاريخ أبي الفدا (١/١٨٢) .

(٤) تهذيب ابن عساكر (٦/١٥٥) والعبر (٢/٦٢) .

(٥) البلاذري (٤٠٣) .

سعيد مالاً من خراج (خراسان) ، فوجه معاوية من لقيه بـ (حلوان)[1] وأخذ المال منه .

ومضى سعيد بالرهن الذين أخذهم من أبناء عظماء (سمرقند) حتى ورد بهم المدينة المنورة ، فدفع ثيابهم ومناطقهم الى مواليه ، وألبسهم جباب الصوف ، وألزمهم السقي والعمل[2] ، وألقاهم في أرض يعملون له فيها بالمساحي ، فأغلقوا يوماً باب الحائط ووثبوا عليه فقتلوه ثم قتلوا أنفسهم[3] فقال خالد بن عُقْبة بن أبي مُعَيْط الأموي[4] :

ألا إنّ خير الناس نفساً ووالداً ... سعيد بن عثمان قتيل الأعاجم

فأن تكن الأيام أردت صروفها ... سعيداً ، فهل حيٌّ من الناس سالم ؟!

وقال أيضاً يرثيه[5] :

يا عين جودي بدمع منك تهتانا ... وابكي سعيد بن عثمان بن عفانا

لم يف سعيد لأهل (سمرقند) باعادة الرهن لهم ، بل جاء بالغلمان معه الى المدينة المنورة[6] وجعل يستعملهم في النخيل والطين وهم أولاد الدهاقين وأرباب النعم ، فلم يطيقوا ذلك العمل وسئموا عيشهم فوثبوا عليه في حائط له ، وبذلك غدر بهم[7] ، فكان هذا الغدر وبالاً عليه ، إذ قدّم حياته ثمناً لغدره .

(١) حلوان : هناك حلوان العراق ، وهي مدينة عامرة ليس في أرض العراق بعد البصرة والكوفة وواسط وبغداد وسامراء والحيرة مدينة أكبر منها ، وهي بقرب الجبل (الجبل الواقع على حدود العراق ـ إيران) وليس بالعراق مدينة قرب الجبل غيرها . انظر المسالك والممالك للاصطخري (٦١) . وحلوان في بلاد الجبال (إيران حالياً) . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٢٢/٣) والمسالك والممالك للاصطخري (١١٨) . أقول : وحلوان العراق اليوم أطلال دوارس تقع بين جولاء وخانقين .

(٢) البلاذري (٤٠٢ ـ ٤٠٣) وانظر البدء والتاريخ (٤١٦) .

(٣) المعارف (٢٠٢) والبدء والتاريخ (٤١٦) وانظر البلاذري (٤٠٣) وتهذيب ابن عساكر (١٥٥/٦) واليعقوبي (٢١٢/٢) .

(٤) تهذيب ابن عساكر (١٥٦/٦) وانظر البلاذري (٤٠٣) .

(٥) تهذيب ابن عساكر (١٥٦/٦) .

(٦) الطبري (٢٢٧/٤) وابن الأثير (٢٠٢/٣) .

(٧) البدء والتاريخ (٤١٦) .

لقد كان سعيد يحب الإمارة، وكان يحب جمع المال ،وقيل: إنه كانت له قطيعة بدمشق[1].

وكان من التابعين ، وقد سمع أباه وطلحة بن عبيد الله ، وروى عنه جماعة[2] ، وكان قليل الحديث[3] .

وكان لسان قريش[4] ، وكان شاعراً ، فقد قال معاوية لسعيد : « لك خراسان » ، فخرج سعيد راضياً وهو يقول[5] :

ذكرت أمير المؤمنين وفضله ... فقلت : جزاه الله خيراً بما وصل

وقد سبقت مني اليه بوادر ... من القول فيه آفة العقل والزلل

فعاد أمير المؤمنين بفضله ... وقد كان فيه قبل عودته ميل

وقال : خراسان لك اليوم طعمة ... فجوزى أمير المؤمنين بما فعل

فلو كان عثمان الغداة مكانه ... لما نالني من ملكه فوق ما بذل

فلما انتهى قوله الى معاوية ، أمر يزيد أن يزوّده ، وأمر له بخلعه وشيعه فرسخاً .

وقد قتل سعيد بعد موت معاوية بن أبي سفيان الذي توفى سنة ستين للهجرة[6] (٦٨٠م)، أي أن مقتل سعيد كان حوالي سنة إحدى وستين للهجرة (٦٨١ م) أو اثنتين وستين للهجرة (٦٨٢ م)[7] .

لقد كان سعيد شهماً غيوراً يعتد بشخصيته، طموحاً ، مترفاً ، سخياً ، وكان من شخصيات قريش البارزة .

---

(١) تهذيب ابن عساكر (٦/١٥٥) .

(٢) تهذيب ابن عساكر (٦/١٥٤) .

(٣) طبقات ابن سعد (٥/١٥٣) وتهذيب ابن عساكر (٦/١٥٥)

(٤) الامامة والسياسة (١/١٩١) .

(٥) الامامة والسياسة (١/١٩١ ـ ١٩٢) .

(٦) الاستيعاب (٣/١٤١٩ ـ ١٤٢٠) والطبري) ٤/٢٣٩) .

(٧) انظر الاعلام للزركلي (٣/١٥١) الطبعة الثانية .

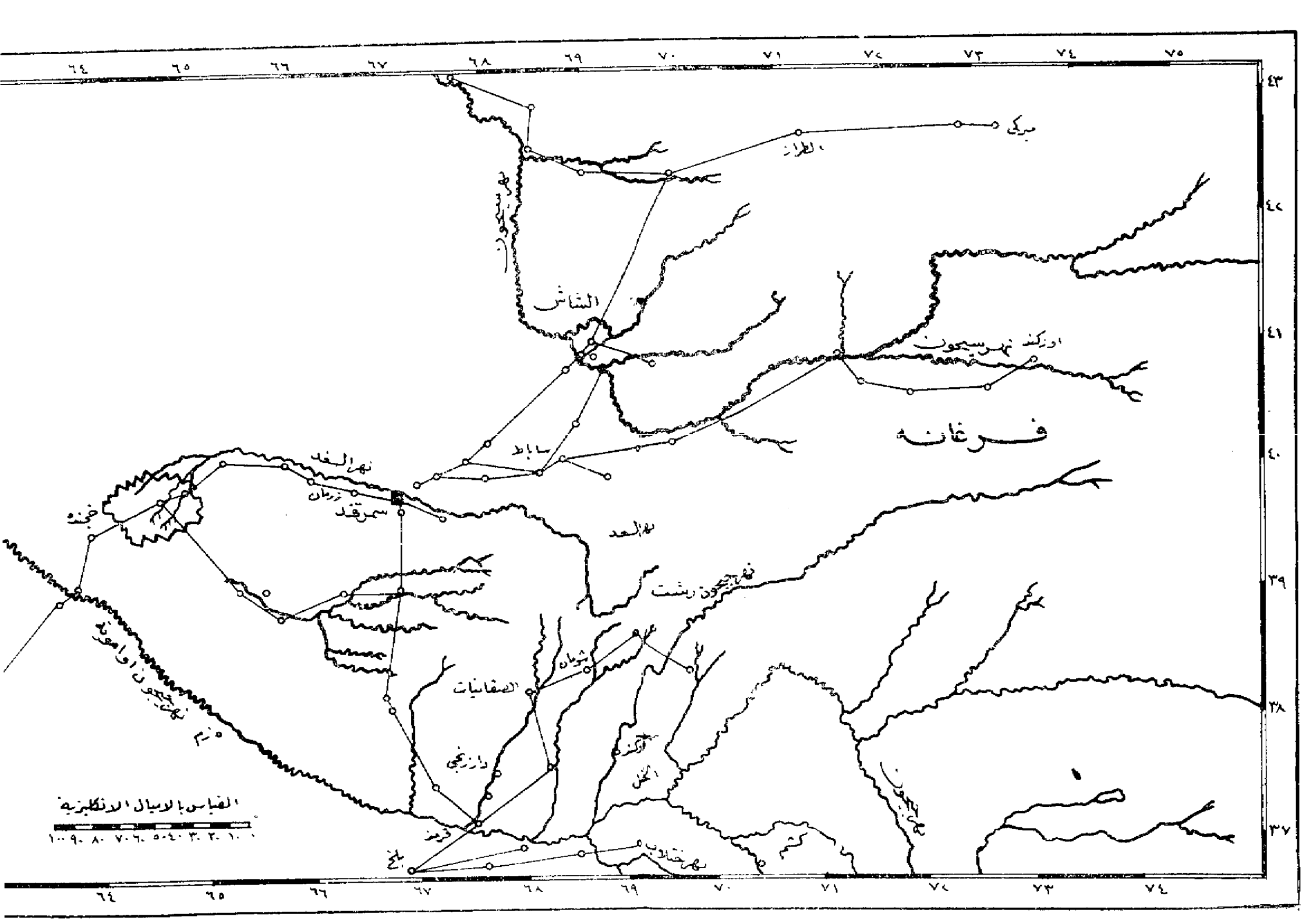
٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥
٤٣ ٤٢ ٤١ ٤٠ ٣٩ ٣٨ ٣٧
مرکی
الطراز
نهر سیحون
الشاش
اوزکند
نهر سیحون
فرغانه
ساباط
نهر الصغد
زرمان
سمرقند
خجنده
نهر الصغد
نهر جیحون ریشت
نهر جیحون او آموی
٥ نرم
شومان
الصفانیات
اوزکند
الخل
دارزنجی
قرمد
بلخ
نهر خلاب
نهر جیحون
القیاس بالاسیال الانکلیزیة
١٠٠ ٩٠ ٨٠ ٧٠ ٦٠ ٥٠ ٤٠ ٣٠ ٢٠ ١٠ ٠

القائد :

بقي سعيد والياً على (خراسان) سنة واحدة ، ومع ذلك فتح الله على يديه فتحاً عظيماً [1] ، مما يدل على أنه كان قائداً متميزاً .

لقد سارع معاوية بن أبي سفيان في عزله خوفاً من أن يعمل على خلعه [2] ، فقد كان أهل المدينة يحبون سعيداً ويكرهون يزيداً ، وحين قدم على معاوية قال له : « يا ابن أخي! ما شيء يقوله اهل المدينة ؟؟ » ، قال : « ما يقولون ؟ » ، قال : « قولهم :

والله ما ينالها يزيد حتى يعض هامه الحديد

إن الأمير بعده سعيد [3] »

فقال سعيد : « ما تنكر من ذلك يا معاوية ؟! والله إن أبي لخير من أبي يزيد ، ولامي خير من أمه ، ولأنا خير منه ؛ ولقد استعملناك فما عزلناك بعد ، ووصلناك فما قطعناك ، ثم صار في يديك ما قد ترى ، فجلأتنا عنه أجمع [4] » .

لقد كان قائداً يمتاز بالحزم والعزم ، فكان إذا اقتنع بأمر بذل قصارى جهده لاخراجه الى حيز الوجود ؛ وكان قائداً مكيثاً غير متهوّر ، وكان يقدّر حق التقدير قيمة الحصول على المعلومات عن مواضع عدوه وحالته المادية والنفسية لكي تكون خطته العسكرية التي يصممها دقيقة ناجحة .

وكان قديراً على معرفة الأرض الحيوية في مواضع العدو ، تلك الأرض التي تكون مفتاح الدفاعات المعادية ، وكان قديراً على التغلغل بكفاية الى تلك الأرض الحيوية والنفوذ اليها والاستيلاء عليها ، وبذلك تنهار دفاعات العدو بيسر وسهولة .

وكان يتحلى بشخصية جبارة ونفسية عالية لا تعرف المداجاة ، وكان يبادل رجاله ثقة

(١) تهذيب ابن عساكر (٦/١٥٥) .

(٢) البلاذري (٤٠٣) .

(٣) يريدون : إن الأمير بعد معاوية هو سعيد بن عثمان لا يزيد بن معاوية .

(٤) تهذيب ابن عساكر (٦/١٥٥) .

بثقة وحباً بحب ، وكان له ماض ناصع مجيد .

سعيد في التاريخ :

لا أشك أن سعيداً لو طالت مدة ولايته على (خراسان) لجاء بالمعجزات في الفتح .

ولكن حسبه أن يذكر له التاريخ ، أنه فاتح (بخارى) و (سمرقند) و (ترمذ) ، تلك البلاد الشاسعة التي أصبحت قاعدة أمامية للمسلمين ، انطلقوا منها لفتح تركستان حتى حدود سيبريا شمالاً ، ولفتح ما وراء النهر حتى حدود الصين شرقاً ، ولفتح السند حتى المحيط جنوباً .

لقد أمدّت هذه البلاد جيوش الفتح من العرب المسلمين بجيش لجب من فاتحي الأمصار والأقطار ، وأمدّت الفكر العربي الاسلامي بسيل دافق من فاتحي العقول والأفهام ، وكان أهل تلك البلاد من أبرز حاملي رايات الثقافة العربية الاسلامية .

رضي الله عن القائد الفاتح سعيد بن عثمان بن عفان الأموي .

محمود شيت خطاب

المصادر

ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن الأثير الجزري الملقب بعزالدين) :

١ — أسد الغابة في معرفة الصحابة ـ طهران ـ ١٣٧٧ هـ .

٢ — الكامل في التاريخ ـ القاهرة ـ ١٣٠٣ هـ .

ابن حجر (شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكناني العسقلاني) :

٣ — الأصابة في تمييز الصحابة ـ القاهرة ـ ١٣٢٥ هـ .

ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي) :

٤ — جمل فتوح الإسلام ـ ملحق بجوامع السيرة ـ القاهرة .

٥ — جمهرة أنساب العرب ـ القاهرة ـ ١٣٨٢ هـ .

ابن سعد (أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهري البصري) :

٦ — الطبقات الكبرى ـ بيروت ـ ١٣٧٦ هـ .

ابن عبد البر (أبو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر) :

٧ — الإستيعاب في معرفة الأصحاب ـ القاهرة .

ابن عساكر (أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله بن الحسين بن عساكر الشافعي) :

٨ — التاريخ الكبير (تهذيب ابن عساكر) ـ دمشق ـ ١٣٢٩ هـ .

ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري) :

٩ — الإمامة والسياسة ـ القاهرة ـ ١٣٨٣ هـ .

١٠ — المعارف ـ القاهرة ـ ١٩٦٠ م .

أبو الفدا (اسماعيل بن علي عماد الدين صاحب حماة) :

١١ — تقويم البلدان ـ باريس ـ ١٨٤٠ م .

١٢ — المختصر من أخبار البشر ـ القاهرة ـ ١٣٢٥ هـ .

الاصطخري (أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري المعروف بالكرخي) :

١٣ — المسالك والممالك ـ القاهرة ـ ١٣٨١ هـ .

البشاري (المقدسي المعروف بالبشارى) :

١٤ — أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ـ لايدن ـ ١٩٠٦ م .

البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري) :

١٥ — فتوح البلدان ـ القاهرة ـ ١٩٥٩ م .

البلخي (أبو زيد أحمد بن سهل البلخي) :

١٦ — البدء والتاريخ ـ مظهر بن طاهر المقدسي ـ باريس ـ ١٨٩٩ م .

الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي) :

١٧ — شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ القاهرة ـ ١٣٥٠ هـ .

الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي) :

١٨ — العبر ـ الكويت ـ ١٩٦١ م .

الزركلي (خير الدين الزركلي) :

١٩ — الاعلام ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية .

الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير الطبري) :

٢٠ — تاريخ الأمم والملوك ـ القاهرة ـ ١٣٥٨ هـ .

القزويني (زكريا القزويني) :

٢١ — آثار البلاد وأخبار العباد ـ بيروت ـ ١٣٨٠ هـ .

ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي) :

٢٢ — المشترك وضعاً والمفترق صقعاً ـ لايدن ـ ١٨٤٦ م .

٢٣ — معجم البلدان ـ القاهرة ـ ١٣٢٣ هـ .

يعقوب (أحمد بن يعقوب) :

٢٤ — تاريخ اليعقوبي ـ النجف الأشرف ـ ١٣٨٥ هـ .